

حكمة النبي محمد

للفضيل بوقت تولستوي

وشعر عن الإسلام

تسلسل المعرفة من القرآن

سليم شعبان



المكتبة القرآنية
الطبعة الأولى ٢٠١٤

حَمْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ

غلاف : يوسف شاكر

«حكم النبي محمد»
للفيلسوف تولستوي ، ترجمة : سليم قبعين ، الطبعة الثانية ، ١٩١٥ الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧
© مصرية للنشر والتوزيع
٨٨ ش. المطرف ، الجمالية — القاهرة ، ص . ب : ١٥٥ الموربة

حَكَمَ الْبَنَى عَلَى مُحَمَّدٍ

للفيلسوف تولستوي

وشئ عن الاسلام

تقدير الى العرقية عن الرؤبة

سليم قباعين

كلمة لمعرب الكتاب

الرجل العظيم يحترم الرجل العظيم والفنون الفياضة تصبو إلى نظرائها .

عرف قراء اللغة العربية ماتتصف به الفيلسوف الكونت لاون تولستوى من الجرأة ودفعه عن الحق الصراح دون أن يخشى لومة لائم أو نعمة ناقم حتى كان يخاطب قيسار روسيا ورجال حكومته مبينا لهم حالة الرعية والبلاد وما تحتاجه من إصلاحات التي غفلوا عنها والواقف على نظمات روسيا وأحكامها المطلقة لا يسعه إلا أن يعجب بتلك الشجاعة الأدبية الكامنة في جوانح الفيلسوف وعدم رهبة تلك السلطة المطلقة .

رأى الفيلسوف تحاول جماعات المبشرين في قازان من أعمال روسيا على الدين الإسلامي ونسبتها إلى صاحب الشريعة الإسلامية أموراً تناقض الحقيقة تصور للروسرين تلك الديانة وأعمال صاحب تلك الشريعة بصورة غير صورتها الحقيقة فهزته الغيرة على الحق إلى وضع رسالة صغيرة اختار فيها عدة أحاديث من أحاديث النبي محمد عليه الصلاه والسلام ذكرها بعد مقدمة جليلة الشأن واضحة البرهان وقال : هذه تعاليم صاحب الشريعة الإسلامية وهي عبارة عن حكم عالية ومواعظ سامية تقود الإنسان إلى سواء السبيل ولا تقل في شيء عن تعاليم الديانة المسيحية ووعد بأنه سيضع كتاباً كبيراً يبحث

فيه أبحاثاً إضافية بعنوان « محمد » .

ولما اطلعت على هذه الرسالة رأقني ما جاء فيها من الحقائق الباهرة والمقاصد الشريفة فدفعتنى الغيرة على الحق لنقلها إلى اللغة العربية وقد عانيت المشاق في رد الأحاديث إلى أصحابها العربية التى وردت فيها وإن أرجو أن تصادف خدمتى هذه القبول الحسن عند عامة المسلمين . وهذا ما أتوخاه فى هذه الهدية التى أزفها للشرقين عموماً وذاك حسى وكفى .

كتبه — سليم قبعين

حِكْمَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ لِلفِيلِسُوفِ تُولْسْتُوِي

عرب عبد الله السهوروبي في الهند كتاب أحاديث النبي محمد وأخذ لكتابه عنواناً آية القرآنية الآية (﴿ يَرِيدُونَ لِيظْفِنُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْتِيَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمْ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهُ الْكَافِرُونَ ﴾).

والأحاديث المذكورة في هذه الرسالة اختارها من كتاب عبد الله السهوروبي الفيلسوف تولستوي وقال إنها لا تختلف في شيء تعاليم الديانات الأخرى التي ترشد إلى الحق وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .



مَنْ كَانَ مُحَمَّدَ

قال الفيلسوف تولستوى تحت هذا العنوان ما هو بالحرف الواحد :

إن محمداً هو مؤسس ورسول الديانة الإسلامية التي يدين بها في جميع جهات الكرة الأرضية مائتا مليون نفس .

ولد النبي محمد في بلاد العرب سنة ٥٧٠ بعد ميلاد المسيح من أبوين فقيرين وكان في حادثته راعياً . ومال منذ صيامه إلى الانفراد في البراري والأمكنة الخالية حيث كان يتأمل بالله وخدمته أن العرب المعاصرين له عبدوا أرباباً كثيرة وبالغوا في التقرب إليها واسترضايتها فأقاموا لها أنواع التعبد وقدموا لها الضحايا المختلفة ومنها الضحايا البشرية . ومع تقدم محمد في السن كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب وأن ديانة قومه ديانة كاذبة وأن هناك إلهاً واحداً حقيقياً لجميع الشعوب .

وقد ازداد هذا الاعتقاد في نفس محمد حتى قام في نفسه أن يدعوا أمته ومواطئه إلى الاعتقاد باعتقاده الراسخ في فرؤاده وقد دفعه عامل داخلى إلى أن الله اصطفاه لإرشاد أمته وعهد إليه هدم ديانتهم الكاذبة وإنارة أبصارهم بنور الحق فأخذ من ذلك العهد ينادى باسم الواحد الأحد بحسب ما أوحى إليه ومقتضى اعتقاده الراسخ .

وخللاصة هذه الديانة التي نادى بها محمد هي أن الله واحد

لا إله إلا هو ولذلك لا يجوز عبادة أرباب كثيرة وأن الله رحيم عادل وأن مصير الإنسان النهاي متوقف على الإنسان نفسه فإذا سار حسب شريعة الله وأتم أوامره واجتب نواهيه فإنه في الحياة الأخرى يؤجر أجرًا حسناً وإذا خالف شريعة الله وسار على هواه فإنه يعاقب في الحياة الأخرى عقاباً شديداً . وأن كل شيء في هذه الدنيا فان زائل ولا يبقى إلا الله ذو الجلال . وأنه بدون الإيمان بالله وإيمان وصاياه لا يمكن أن تكون حياة حقيقة وأن الله تعالى يأمر الناس بمحبته وحبة بعضهم وحبة الله تكون في الصلاة وحبة القريب تقوم في مشاركته في السراء والضراء ومساعدته والصلوة عن زلاته وأن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر يقتضى عليهم أن يبذلوا وسعهم لإبعاد كل مامن شأنه إثارة الشهوات النفسانية والابتعاد أيضاً عن المللات الأرضية وأنه يصح عليهم أن لا يخدموا الجسد ويعبدوه بل يجب عليهم أن يخدموا الروح وأن يزهدوا في الطعام والشراب وأنه حرم عليهم استعمال الأشربة الروحية المهيجة وحتم عليهم العمل والجد وما شابه ذلك .

ومحمد لم يقل عن نفسه أنه نبي الله الواحد بل اعتقاد أيضاً بنبوة موسى والمسيح وقال إن اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم بل يجب عليهم أن يتسموا وصايا أنبيائهم .

وفي سني دعوة محمد الأولى احتمل كثيراً من اضطهاد أصحاب الديانة القديمة شأن كل نبي قبله نادي أمته إلى الحق ولكن هذه الاضطهادات لم تثن عزمه بل ثابر على دعوه أمته . وقد امتاز المؤمنون كثيراً عن العرب بتواضعهم وزهدهم في الدنيا وحب العمل والقناعة وبنلوا جهدهم لمساعدة إخوانهم في الإيمان لدى حلول المصائب بهم .

ولم يمض على جماعة المؤمنين زمن طويل حتى أصبح الناس

المحيطون بهم يحترمونهم احتراماً عظيماً ويعظمون قدرهم وغدا
عدد المؤمنين يتزايد يوماً فليوماً .

غير أن أصحاب الغيرة من أنصار النبي كانوا ينتظرون إلى
الوثنين المحيطين بهم وفسادهم بعين الغضب والاستياء فدفعتهم
غيرتهم على الحق إلى التشدد في الدعوة إلى دين الإسلام
والاعتراف بوحدانية الله ومع أن هؤلاء الأنصار لم يسيروا
سفك الدماء للحصول على الأموال أو غيرها من متاع الدنيا
من جانب فإنهم من الجانب الآخر لم يسيروا التهاؤن أو التخاذل
أمام أولئك الذين أصرروا على البقاء في الضلال .

ولذا كان انتشار الإسلام بصورة كبيرة على يد هؤلاء لم
يرق بعض من اليهوديين واليسوعيين فإن ذلك لا ينفي حقيقة أن
ال المسلمين اشتهروا في صدر الإسلام بالزهد في الديانة الباطلة
وطهارة السيرة والاستقامة والتزاهة حتى أدهشوا المحيطين بهم
 بما هم عليه من كرم الأخلاق ولين العريكة والوداعة ومن
فضائل الدين الإسلامي أنه أوصى خيراً باليسوعيين واليهود
لاسيما قسوس الأوليين فقد أمر بحسن معاملتهم ومؤازرتهم
حتى أباح هذا الدين لاتباعه التزوج من المسيحيات واليهوديات
مع الترخيص لهم بالبقاء على دينهم ولا يخفى على أصحاب
البصرائر النيرة ما في هذا من التساهل العظيم وما لاريب فيه أن
النبي محمد صلى الله عليه وسلم خدموا الهيئة الاجتماعية
خدمة جليلة ويكتفيه فخرأً أنه هدى أمّة برمتها إلى نور الحق
وجعلها تجني للسكينة والسلام وتفضل عيشة الزهد ومنعها
عن سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وفتح لها طريق الرق
والمدنية وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أقوى قوة ورجل
مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام .



◆

من مقدمة المؤلف الهندي

إنا لله وإنما إليه راجعون . إننا جمِيعنا أبناء الله وحياتنا تتحصر في التقرب إليه تعالى . إن شرارة الإيمان مخفية في قلب كل إنسان .

إن ديننا القويم يقدم رجاء الخلاص لجميع أتباعه والذين يدخلونه . إن النفس التي تكرم القدير العظيم — تلك النفس التي تسعى إلى معرفة الحق وتسير في طريق الصلاح ستحظى بالحياة الأبدية والغبطة الدائمة .

عبد الله السهوروسي

◆

الأحاديث النبوية^(١)

- اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك .
- قل الحق وإن كان مرا .
- أنصر أخاك ظالما أو مظلوما . فقال رجل يارسول الله أصره مظلوما . فكيف أنصره ظالما ؟ فقال تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه .
- من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد . ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر . ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا . ومن أتاني يمسي أتيته هرولة ومن لقيتني بقرب الأرض خطيبة لا يشرك بي شيئا لقيته بعذابها مغفرة .
- اللهم أحيني مسكيناً وتوفني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين .
- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأنبيائه ما يحب لنفسه
- حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات .
- الحلال بين والحرام بين .
- ارجعوا من في الأرض يرجحكم من في السماء .
- سأله رجل النبي صلى الله عليه وسلم أى الإسلام خير ؟ قال : أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .
- لا تقيموا قلوبكم بكميات الطعام والشراب .

(١) هذه الأحاديث احتراماً للفيلسوف تولستوي من كتاب عبد الله السهروردي وعربياً من الإنكليزية إلى الروسية كما أشرنا إليها سابقاً ودعائماً « حكم النبي » وفي الأصل الروسي أحاديث غير هذه لم تلق عليها في كتب الأحاديث ويهدر أنها من حكم الأولياء أو العرب التي ينسبها الإفرينج إلى كثيرون إلى النبي .

- كت كزرا مخفيا فاردت أن أعرف فخلقت الخلق
فعرفوني .
- أفضل الصدقة إصلاح ذات البين وحفظ اللسان .
- أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمررت بقوم ليجدوا ريحها
في زانية وكل عين زانية .
- الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس
السوء . وأملاء الحب خير من السكوت والسكوت خير من
أملاء الشر .
- زنا العين النظر . وزنا النفس المنطق والنفس تمنى
وتشتتى .
- من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذ ملأ الله قلبه أماناً
وإيماناً .
- القبر أول منزلة من منازل الآخرة .
- أفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل .
- إن الرجل إذا دخل في صلاته أقبل الله عليه بوجهه .
- إن الله تعالى يحب أن يرى عبده ساعياً في طلب الحلال .
- من يصبر على الرزية يعوضه الله .
- آفة الدين ثلاثة : فقيه فاجر . وإمام جائز . ومجتبى
جاهل .
- إن النساء شقائق الرجال .
- آفة العلم الشisan وإضاعته أن تحدث به غير أهله .
- الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة .
- الكذب مجانب للإيهان .
- إعقلها وتوكل .
- لاعبادة كالتفكير .
- حبك للشىء يعمى ويصم .

- لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأنبياء ما يحب لنفسه .
- أفضل كلمة قالها شاعر كلمة ليد : ألا كل شيء ماحل الله باطل .
- ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلوة والصدق ، قالوا بلى يا رسول الله قال الله إصلاح ذات البين .
- إن أول خلق خلقه الله عز وجل العقل . فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أديبر فأديبر . فقال وعزق وجلاى ما خلقت خلقاً هو أحب إلى منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعقاب .
- ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد هو الذي تملك نفسه عند الغضب .
- أرض بما قسمه الله لك تكون أغنى الناس .
- إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال فلينظر إلى من هو أسلف منه .
- دخل عمر على رسول الله وهو على حصير قد أثر في جبه فقال يانبي الله لو اتخذت فراشاً . فقال مالى وللدنيا مامثل ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها .
- خصلتان من كانتا فيه كعبه الله شاكراً صابراً : من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به . ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضلته الله عليه .
- جاء رجل إلى النبي صل الله عليه وسلم فقال إلى أحبك قال انظر ما تقول ، فقال إلى والله لأحبك ثلاث مرات . قال إن كنت صادقاً فاعد محفاناً للنقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه .
- ليودك عن الناس ما تعلم من نفسك .

- امش ميلاً عد مريضاً . وامش ميلين أصلح بين اثنين
وامط الأذى عن الطريق فإنه لك صدقة .
- اتق الله ولا تخقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من
دلوك في إناء المستسقى وأن تلقى أخاك وجهك إليه منبسط
إياك وإسبال الآزار فإن إسبال الآزار من الخيلة ولا يحبها الله .
 وإن امرأ شتمك وغيرك بأمر هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه
ودعه يكون وباله عليه وأجره لك . ولا تسنن أحداً .
- قدم على النبي ﷺ بسي فـإذا امرأة من السبي تحـلـبـ
ثديها تسقـيـ . إذا وجدت صـيـاـ في السـيـ أخذـهـ فأـلـصـقـهـ
بيـطـنـهـ وأـرـضـعـهـ . فقال النبي : أـتـرـونـ هـذـهـ طـارـحةـ ولـدـهـ فـيـ
الـنـارـ قـلـنـاـ لـاـ . وهـىـ تـقـدـرـ عـلـىـ أـنـ لـاـ تـطـرـحـهـ . فقال الله أـرـحـمـ
بعـادـهـ مـنـ هـذـهـ بـولـدـهـ .
- من ظلم أـجـيـراـ أـجـرـهـ أـحـبـطـ اللهـ عـمـلـهـ وـحـرـمـ عـلـيـهـ رـيحـ
الـجـنـةـ .



(دعاء النبي)

يا حـسـنـيـ يا قـيـومـ لاـ آـلـهـ إـلـاـ أـنـتـ بـرـحـتـكـ أـسـتـغـفـرـ لـيـ
ذـنـوبـ وـأـصـلـحـ لـيـ شـائـعـ وـفـرـجـ لـيـ هـىـ بـرـحـتـكـ .

أـغـفـرـ لـيـ فـإـنـهـ لـاـ يـغـفـرـ الذـنـوبـ الـعـظـيمـ إـلـاـ الـرـبـ الـعـظـيمـ
أـحـرـسـنـيـ بـعـيـنـكـ الـتـيـ لـاـ تـامـ وـاـكـفـنـيـ بـرـكـتـكـ الـدـىـ لـاـ يـرـامـ
وـأـرـحـنـيـ بـقـدـرـتـكـ عـلـىـ فـلـاـ أـهـلـكـ وـأـنـتـ رـجـائـ فـكـمـ مـنـ نـعـمةـ
أـنـعـمـتـ بـهـاـ عـلـىـ قـلـلـ لـكـ عـنـدـهـ شـكـرـيـ وـكـمـ مـنـ بـلـيةـ اـبـلـيـشـيـ بـهـاـ
قـلـلـ لـكـ عـنـدـهـ صـبـرـيـ يـاـذـاـ مـعـرـوفـ الـدـىـ لـاـ يـقـضـيـ أـبـداـ وـيـاـذـاـ
الـعـمـاءـ الـتـيـ لـاـ تـحـصـيـ عـدـدـاـ لـجـنـيـ مـاـ أـنـاـ فـيـ وـأـعـنـىـ عـلـىـ مـاـ أـنـاـ
عـلـيـهـ مـاـ قـدـ نـزـلـ بـيـ بـجـاهـ وـجـهـكـ الـكـرـيمـ .

قال النبي وحوله جماعة من أتباعه : « تعالوا بابيعونى على
أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزدروا ولا تقتلوا أولادكم
ولا تأتون بيهود تفرونهم بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى في
المعروف فمن وقى منكم فأجره على الله ». .

سيأتي زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولامن الدين إلا
وسمه تنزع الرحمة من قلوبهم وتقل مكاسب الحلال ويكثر
الحرام .

عفوا تعف نساوكم .

علم لاينفع ككتنز لاينفق منه .

ليس من أخلاق المؤمن التلق ولا الحسد إلا في طلب
العلم .

زين الله السماء بثلاث : الشمس والقمر والكواكب وزين
الأرض بثلاث : العلماء والمطر وسلطان عادل .

العلم إمام والعمل تابعه يلهمه السعادة ويحرمه الأشقياء .

العالم إذا خرج من الدنيا كالصبح يخرج من بيت مظلم .

وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر والمؤلئ
والذهب .

يقول الله عز وجل يوم القيمة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى
قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال : أما علمت
أن عبدي فلانا مرض فلم تعدده أما أنك لو عدته لوجدتني
عنه . يا ابن آدم استطعتمك فلم تطعمنى قال : يارب كيف
أطعمك وأنت رب العالمين قال : أما علمت أنه استطعتمك
عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت
ذلك عندي يا ابن آدم استسقىتك فلم تسقنى قال : يارب
وكيف اسقىك وأنت رب العالمين قال : أستسقاك عبدى
فلان لم تسقه أما علمت لو سقته لوجدت ذلك عندي .

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لأنخراك كأنك
تموت غداً .
من كلب فجر ومن فجر كفر ومن كفر دخل النار



وكتب الإمام المرحوم الأستاذ العلامة الشيخ محمد عبده إلى الفيلسوف تولستوي واضع هذا الكتاب الخطاب الآتي فاثر إثباته لجزيل فائدته وهو بالحرف الواحد :

أيها الحكيم الجليل موسیو تولستوي :

لم نحظ بمعرفة شخصك ولكننا لم نحرم التعارف مع روحك ، سطع علينا نور من أفكارك ، وأشرقت في آفاقنا شموس من آرائك ، ألفت بين نفوس العقلاة ونفسك . هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها ووقفتك على الغاية التي هدى البشر إليها ، فأدركت أن الإنسان جاء إلى هذا الوجود ليثبت بالعلم ويشرب بالعمل وأن تكون ثمرته تعيناً ترتاح به نفسك وسعياً يبقى به ويرى جسنه وشعرت بالشقاء الذي نزل بالناس لما انحرفو عن سنة الفطرة وبما استعملوا قواهم التي لم ينحوها إلا ليسعدوا بها فيما كدر راحتهم وزعزع طمأنيتهم .

ونظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد ، ووصلت بها إلى حقيقة التوحيد ورفعت صوتك تدعى الناس إلى ما هداك الله إليه ، وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه فكما كنت بقولك هادياً للعقل كنت بعملك حاثاً للعراشم والهمم ، وكما كانت آراؤك ضياء يهتدى بها الضالون كان مثالك في العمل إماماً يقتدى به المسترشدون ، وكما كان وجودك توبيخاً من الله للأغنياء كان مداداً من عنائه للضعفاء الفقراء ، وإن أرفع مجد بلغته وأكبر جزاء نلتة على متابعيك في النصح والارشاد هو هذا الذي سماه الغافلون بالهرمان والإبعاد ، فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس أنك لست من القوم الضالين فاحمد الله على أن فارقوك في أقوامهم كما كنت فارقهم في عقائدهم وأعمالهم .

هذا وإن نفوسنا لشيقه إلى ما يتجدد من آثار قلمك فيما
 تستقبل من أيام عمرك وإنما نسأل الله أن يمد في حياتك ويحفظ
 عليك قواك ويفتح أبواب القلوب لفهم قولك ويسوق النفوس
 إلى التأسى بك في عملك والسلام .





ولما انتقل الفيلسوف تولستوي من دار الفناء إلى دار البقاء
وقع نبأ وفاته وقعا مؤلماً في الغرب والشرق ورثاه الفلاسفة
والشعراء ومن ذلك ما قاله شاعر وداعى النيل صاحب السعادة
أحمد بك شوق حيث قال :

(طولستوي) تخبرى آية العلم دمعها
عليك ويكي بائس وفقير
وشعب ضعيف الركين زال نصيره
وماكل يوم للضعف نصير
ويندب فلاحسن أنت مثارهم
وأنت سراج غبّوة منير
يعانون في الأكواخ ظلماً وظلمة
ولا يملكون البث وهو يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضي
 عليهم وتغشى دورهم وتزور
 ويأسى عليك الدين إذ لك له
 وللمخدمين الناقمين فشور
 أى كفر بالإنجيل من تلك كتبه
 أناجيبل منها منذر وبشير
 ويسيكبك ألف فوق (ليل) ندامة
 غداة مشى (بالعامري) سرير
 تناول ناعيك البلاد كأنه
 يراع له في راحتلك سرير
 وقيل تولى (الشیخ) في الأرض هائما
 وقيل (بدیر) الراهبات أسير

وقيل قضى لم يعن عنه طبيه
وللطلب من بطش القضاء عنبر
إذا أنت جاورت (المعرى) في الترى
وجاور (رضوى) في التراب (ثير)
وأقبل جمع الحالدين عليكما
وغالى بمقدار النظير نظير
جامجم تحت الأرض عطرها شذى
جناهن مسك فوقها وعابر
بن ياهى بطن (حواء) واحتوى
عليهن بطن الأرض وهو فخور
فقل يا حكيم الدهر حدث عن البلى
فألت عليهم بالأمسور خبر
أحطت من الموت قدّيماً وحادثاً
بما لم يحصل منكر ونكير
طوانا الذى يطوى السموات فى غد
وينشر بعد الطى وهو قادر
تقادم عهداً على الموت واستوى
طويل زمان فى البلى وقصير
كان لم تضق بالأمس عنى كيسة
ولم يُؤونى دير هناك ظهور
أرى راحة بين الجنادل والخصى
وكل فراش قد أراح وثير
نظرنا بنور الصوت كل حقيقة
وكنا كلانا فى الحياة ضرير
إليك اعتراف لا لقى وكاهن
ونجواى بعد الله وهو غفور

فزهدك لم ينكحه في الأرض عارف
ولا متعال في السماء كبير
بيان يشم الوحي من نفحاته
وعلم كعلم الأنبياء غزير
سلكت سبيل المترفين ولد لى
بنون ومال والحياة غرور
آداة شتائى الدفء في ظل شاهق
وعدة صيفي جنة وغدير
ومتعت بالدنيا ثمانين حجة
ونضر أيامى غنى وجسور
وذكر كضوء الشمس في كل بلدة
والاحظ مثل الشمس حين تسير
فما راعنى إلا عذاري أجرنى
ورب ضعيف تختمى فيسجر
أردت جوار الله وال عمر منقض
وجاورته في العمر وهو نضر
صبا ونعيم بين أهل وموطن
ولذات دنيا كل ذاك نذور
هن وما يدرى ما الذنب خشية
ومن عجب تخشى الخطيئة حور
أؤنس في داج من الليل موحش
ولله أنس في القلوب ونور
وأشبه طهر في النساء بحرير
فتاة على نهج المسيح تسير
تسائلنى هل غير الناس ما بهم
وهل حدثت غير الأمور أمر

وهل آثر الإحسان والرفق عالم
داعى الأذى والشر فيه كثير
وهل سلكوا سبل الحبة بينهم
كما يتصاف أسرة وعشير
وهل آن من أهل الكتاب تسامع
خلق باآداب الكتاب جديـر
وهل عالج الأحياء بؤساً وشقاوة
وقلل فساد بينهم وشـور
ثم أنظر وأنت الماء الأرض حكمة
الْجَدِي نظيم أم أفاد شـير
أناس كما تدرى ودنيا بـحـالـها
ودهر رخـيـٌ تـارـة وعـسـير
وأحوال خلق غـابر متـجـدد
تشابـهـ فيـهاـ أولـ وأـخـيرـ
تمـ تـبـاعـاـ فيـ الحـيـاةـ كـأـنـهاـ
ملـاعـبـ لاـ تـرـحـىـ هـنـ ستـورـ
وحرـصـ عـلـىـ الدـنـيـاـ وـمـيلـ مـعـ الـهـوىـ
وـغـشـ وـإـفـلـكـ فـيـ الحـيـاةـ وزـورـ
وـقـامـ مقـامـ الفـردـ فـيـ كـلـ أـمـةـ
عـلـىـ الحـكـمـ حـمـ يـسـتـبدـ غـيرـ
وـحـورـ قـولـ النـاسـ مـوـلـ وـعـبـدـهـ
إـلـىـ قـوـلـهـ مـسـتـأـجـرـ وـأـجـيرـ
وـأـضـحـىـ نـفـوذـ المـالـ لـأـمـرـ فـيـ الـورـىـ
وـلـاـ نـهـىـ إـلـاـ مـأـيـرـىـ وـيـشـيرـ
تسـاسـ حـكـومـاتـ بـهـ وـمـالـكـ
ويـذـعنـ إـقـيـالـ لـهـ وـصـلـورـ

وعصر بنوه في السلاح وحرصه
 على السلم يجري ذكرها ويدير
 ومن عجب في ظلها وهو وارف
 يصادف شعباً آمناً فيغير
 ويأخذ من قوت الفقير وكسبه
 ويؤوى جيوشاً كالحصى ويمير
 ولما استقل البر والبحر مذهبها
 تعلق أسباب السماء يطير



وقال حضرة الشاعر المشهور حافظ بك إبراهيم يرثي الفيلسوف
 أيضاً :

رثاك أمير الشعر في الشرق وانبرى
 لمدحك من كتاب مصر كبير
 ولست أبالي حين أرثيك بعده
 إذا قيل عنى قد رثاه صغير
 فقد كتت عوناً للضعف وإنني
 ضعيف ومالي في الحياة نصير
 ولست أبالي حين أبكيك للورى
 حوتلك جنان أو حواك سعير
 فاني أحب النابغين لعلمهم
 وأعشق روض الفكر وهو نصير
 دعوت إلى عيسى فضجت كنائس
 وهز لها عرش وماد سرير
 وقال أناس إنه قول ملحد
 وقال أناس إنه لبشر

ولولا حطام رد عنك كيادهم
لضفت به ذرعاً وسأه مصير
ولكن حماك العلم والرأى والمحجى
ومال إذا جد النزال وغير
إذا زرت رهن الحبسين (١) بمفرة
بها الزهد ثاو والذكاء مثير
وابصرت أنس الزهد في وحشة الليل
وشاهدت وجه الشيخ وهو منير
وأيقنت أن الدين الله وحده
 وأن قبور الزاهدين قصور
فقف ثم سلم وأحتشم إن شيخنا
مهيب على رغم الفناء وقور
وسائله عما غاب عنك فإنه
علم بأسرار الحياة بصير
يُخبرك الأعمى وإن كنت مبصراً
 بما لم تخبر أحرف وسطور
كأنى بسمع الغيب أسمع كلما
يحيي به أستاذنا ويحيي
يناديك أهلاً بالذى عاش عيشنا
ومات ولم يدرج إليه غرور
قضيت حياة ملؤها البر والتقوى
فأنت بأجر التقوين جديس
وسموك فيهم فلسفنا وأمسكوا
وما أنت إلا محسن ومحسن
وما أنت إلا زاهد صاح صحة
يرن صداتها ساعدة ويسطير

(١) غرید أبا العلاء
المغرى .

سلوت عن الدنيا ولكنهم صدوا
إليها بما تعلم لهم وغیر
حياة الورى حرب وأنت تريدها
سلاماً وأسباب الكفاح كثير
أبى سنة العمران إلا تناحرأ
وكدحأ ولو أنبقاء يسر
تحاول رفع الشر والشر واقع
وتطلب محضر الخير وهو عسير
ولولا امتراج الشر بالخير لم يقم
دليل على أن الإله قد يسر
ولم يبعث الله التبين للهداى
ولم ينطليع للرسير أمير
ولم يعشق العلياء حر ولم يسد
كريم ولم يرج النراء فغير
ولو كان فيها الخير مخضا لما دعا
لله داع إن تبلج نور
ولا قيل هذا فيلسوف موفق
ولا قيل هذا عالم وخسير
فكم في طريق الشر خير ونعمه
وكم في طريق الطبيات شرور
لهم تر أنى قمت قبلك داعياً
لله الرهد لا يأوى لست ظهير
أطاعوا أيسكر وسقراط قبليه
ونحولفت فيما أرثى وأشير
ومت وما ماتت مطامع طامع
عليها ولا ألقى القياد ضمير

إذا هدمت للظلم دور تشيدت
له فوق أكتاف الكواكب دور
أفاض كلاماً في النصيحة جاهداً
ومات كلانا والقلوب صخور
فكم قيل عن كهف المساكين باطل
وكم قيل عن شيخ المرة زور
وما صد عن فعل الأذى قول مرسل
ولا راع مفتون الحياة نذير



رأى تولستوي

في الحجاب والزواج وما بينهما

قال الفيلسوف في الطلاق والمحجب : إن السبب في مسألة الطلاق التي تشغل الآن الرأي العام في أوربا هو التمدن الذي لم يقتبس الإنسان منه سوى الحمق والخلاعة هذا هو السبب الحقيقي في ازدياد الطلاق نمواً كل يوم . فلا يمضى على زواج امرأة برجل روح من الزمن حتى تقول له حاذر أن أتركك وأمضي إلى حال سبيل . سرى ذلك من الربوع العالية في المدن إلى أكواخ الفلاحين . فالفلاحة لأقل شيء تقول لزوجها خذ قمصانك وسرأويلك لأنني تاركة لك وذاهبة مع حبيبي يوسف الذي يفوقك حسناً وبهاء .

هذا لأن المرأة خلعت ثياب الحشمة واحترام الزوج وخرجت من دائرة الخضوع له تلك الواجبات التي ينبغي أن تبقى عليها حتى انقضاء الأجل .

على الرجل أن يكدر ويشتغل وما على المرأة إلا أن تقيم في البيت لأنها زوجة أو بعبارة أخرى إناء لطيف سريع الانفلام والانكسار .

على الرجل أن يراقب سلوك امرأته ولا يطلق لها العنان بل يحجبها في البيت والبيت دائرة حرية واسعة للمرأة . ثم نحمد هذه السطور بهتل روسي وما هو :

« لا تركن إلى الفرس في الغيط واركن للمرأة في البيت »

وقال عن الحب والزواج :

إن دوام الحب بين الزوجين من رابع المستحبيلات . إنه قد يكون حب ولكن إلى وقت قصير جداً ثم لا يدوم إلا في الروايات فقط وأما بين الناس فعديم الاستقرار في قلبين معاً وكل رجل متزوجاً كان أو غير متزوج إذا اجتازت به غادة فتنة فأكثر ما يكون منه أن يوجه إليها التفاة وقد يبذل بعضهم كل مرتخص وغالب بعد ذلك في سبيل الوصول إليها . والمرأة من هذا القبيل كالرجل فإنها تجتهد للاتصال بأكثر من واحد دائمًا ومدام يمكنها هذا الاتصال فهي نائلة أربها لامحالة .

إذا قلنا إنه يمكن للمرأة أن تحب زوجها طول الحياة فما مثلنا في ذلك إلا مثل من يوقد شمعة وهو يعتقد أنها تدوم مضيئه طوال الدهر .

إن الزواج أصبح في عصرنا هذا يبتلاً بغض خداع ولكنه لايزال يوجد عند أولئك الذين يرون فيه سراً من أسرار الدين كالمسلمين والصينيين والهنود . أما نحن فلا نرى فيه غير تلك المقارنة الحيوانية .

الزوجان يخدعن الناس بأنهما يعيشان معاً في ارتباط عائلي حقيقي بالزواج . يظهر كذلك أمرهما في الخارج لكل من رآهما وإنهما سيقيان في تمام الواقع مادامت الحياة والحقيقة أنهما يعيشان على قاعدة تعدد الزوجات ولكن من الجائزين وبهذا التكافؤ قد يتتفقان زمناً . وعلى الأكثرين إن كلهمما في الشهر الثاني يهدى صاحبه بالطلاق وقبلما يمسكان من وسائله . وعن ذلك تصدر الأفكار الخبيثة الجهنمية التي ينجم عنها إطلاق الرصاص انتشاراً أو قتلاً أو دس السم وما أشبهه .

وقال في الفساد المنتشر بين الناس : وتفسد أخلاق الشاب في المدرسة لأن جميع رفاقه فسده الأخلاق يصحبونه معهم إلى أندية الرجال فيفقد طهارته وعفته من حيث لا يدرى إن في

فعله هذا ما يخالف الآداب والفضيلة . تفسد أخلاق الشاب من أول نشأته لأنه لا يسمع من مرشديه أن الفسق حرام بل بالعكس يسمع أن صحة الجسم تستلزم بعض الشيء وجميع المحيطين به يقولون إن الواقع شيء طبيعي قانوني مفيد للصحة وفاكهة الشباب الحلوة . لهذا كله لا يدرك الشاب أنه سائر في طريق الضلال بل يقطع الطريق الطبيعية التي يسير فيها كل صحبه وأفراد الوسط الذي يعيش فيه . فيبدأ بالفحشاء كما يتبدىء بشرب المسكر والتدخين .

وأنا أعرف أمهات كثيرات يعتنن بأمر أولادهن في هذا الطريق رعاية لصحتهم . يقى على الشاب أمر واحد يخشى عاقبته من ارتكاب الموبقات وهو العدوى من المرض المشهور غير أن الحكومة التى تهم بصحة رعاياها لم تدع مجالاً للخوف فإنها بهمة فائقة تعنى اعتماداً تماماً بالماخر . والأطباء كهنة أصنام العلم يراقبون المومسات لقاء أجور يتقاضونها وهم من جهة أخرى يفتون للشباب بضرورة الاجتماع ولو مرة في الشهر مراعاة لقانون الصحة .

فهم على ذلك يرتبون سير الفحش ترتيباً مدققاً ويضبطون دوائره ضبطاً « محكماً » .

ليت الحكومة التى تهم اهتماماً عظيماً بإزالة الزهرى معالجة تستعمل جزءاً من مائة من ذلك الاهتمام من إزالة المومسات فيصبح إذ ذاك في خبر كان .

وقال في حفلات الرقص الساحرة : يجري بيننا وتحت نظرنا من الأمور السافلة ما لا طاقة لذى ناموس وشرف على احتفاله يزورنا رجل لأنجهل من سيرته شيئاً فწقبله أحسن استقبال وعندما يدخل قاعة الضيوف يجالس أختى أو ابنتى أو قرينتى حيث يتركنى وشأنى أو أتركه وشأنه . وربما أعرف من

سلوكه وتصرفاته ما أعرف فكان يلزم والحالة هذه أن أتقدم إليه عند قدومه واتسحي به جانباً وأقول له هامساً إلى ياصاح أعرف أحوالك وأين تصرف لياليك ومع من فليس لك عندنا مكان لأن فتياتنا طاهرات .

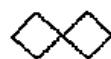
كذا كان ينبغي أن يفعل كل واحد منا ولكننا نجري على العكس مما تقدم . فإذا اجتمعنا مع هذا الرجل في ليلة راقصة كان له أن يرقص مع أخرى أو ابتسى ويعانقها ويختصرها نراه بأعيننا ونشاهد حركاتها معاً غدواً أو رواحاً ومبلاً واهتزازاً ولا تشمئز منه نفوسنا بل نتساءل إذا كان حراً لنسعي في تزويجه بإحدى بناتنا ولو كان أثر المرض بادياً عليه » .

ثم قال عن الأزياء وحالة الطبيقة العالية من نساء أوروبا : إننا لو أمعنا النظر في معيشة نساء الطبقات العليا كنا هي من قلة الحياة والخلاعة لا نجد ثم فرقاً بين البيت الذي يضمهن ونادي موسمات مختلف .

ولكن الناس لا يوافقونني على كلامي هذا فأنا إذا أقيم لهم برهاناً حسياً :

هم يقولون إن نساء هيئتنا الاجتماعية يعشن بحالة تختلف معيشة الموسمات ، وأنا أحالفهم في ذلك وأقول : إذا كانت النساء مختلف في حالة المعيشة الداخلية فمن الحقائق المقررة أن ما يكون متارجاً منهن أثر المعيشة في الداخل وهذه يلزم أن تختلف معيشة الموسمات من كل وجه ولكن أنا لا أرى فرقاً كبيراً بين معيشة الفريقين في الخارج . قابلوا أيها الناس بين الموسمات وبين نساء الطبيقة العليا تجدوهن متتفقات في الهبات والأزياء والروائح العطرية وإعفاء السواعد ولمناكب والصدر ووضع الوسادة خلف الظهر أينما جلسن وأينما ركبت وفي اقتناء أنفس الجواهر والمجاراة الكريمة المماعة وفي المراقص والغناء .

وكان أن المؤسسات يستعملن كل الوسائل الفعالة لغواية
الشبان وجلبهم واستهلاك النفوس حتى يصيرو هن كل راء كذلك
نساء الطبقات العالية يفعلن في وسطهن .



الشَّجَى مُحَمَّد

جاء في إحدى المجلات الروسية تحت هذا العنوان ما يأتي
 بالحرف الواحد :

في شبه جزيرة العرب المجاورة لفلسطين حيث كان الناس
 يدينون بالديانتين المسيحية واليهودية ظهرت ديانة عظيمة
 أساسها الاعتراف بوحدة الله وهذه الديانة تعرف بالحمدية أو
 كما يسميها أتباعها الإسلام وقد انتشرت هذه الديانة انتشاراً
 سريعاً بين قبائل متعددة وأمّ كثيرة حتى بلغ عدد متحليها في
 هذا العصر نحو مائتي مليون نفس .

مضى على ظهور الديانة الإسلامية ١٣٣٠ عاماً أو بعد
 ظهور الديانة المسيحية بحوالي ٦٠٠ سنة ومؤسس هذا الدين هو
 العربي محمد .

كان العرب أقرياء اليهود باللغة والجنس قبل ظهور الرسول
 وثنين يعبدون آلة متعددة وأرواحاً صالحة وشريرة وكانت
 تقسم إلى قسمين عائلية ووطنية فكان كثير من
 العائلات تصنع لها صنماً خاصاً تعبده وكان في كل قبيلة صنم
 عام تسمجد له يرميها ولكن العرب عموماً كانوا يعتقدون
 بوجود الله يعتبرونه أباً لهذه الأرباب ويسمونه « الله العلـ
 العظيم » .

وكانت اعتقدات العرب الدينية مملوءة بالخرافات ودياناتهم
 مبنية على القسوة والانتقام والتعادى .

* (المغرب) هذه أقوال
 كاتب روسي مسيحي منصف
 نشرها بين قومه لإطلاعهم على
 جوهر الدين الإسلامي وما فيه
 من الحقائق الباهرة وهي حرية
 بالاعتبار لصدورها من كاتب
 فاضل يقول الحق ولا غرابة
 في رجال الفضل المصنفون وجدوا
 في الدنيا لتقدير الحقائق ودفع التهم
 وإرشاد الناس إلى الحقيقة الناصعة
 التي ليدوا أنعاماً طراؤه وهم في
 ريبة منها لما قرأوه عنها من
 الاختلافات التي يذهبوا في تفاصيلهم
 بعض الكتاب الذين يهرون وراء
 تيار الأهواء وبخالقون ضمائرهم
 لإرضاء فريق من الناس وهي حلة
 ذميمة في الكتاب الذين هم
 مصابيح الأربعة والواجب يقضى
 عليهم بهمذلة غياب الجهل وإنارة
 الأفكار بتراث الحقيقة فإذا سار
 العلماء والكتاب على خطوة هذا
 الكاتب الروسي أعادوا العالم فوارد
 لا يقدروا إلا كل ذي شعور
 حتى يتألم لتباين الناس
 وتباغضهم .

ولقد انقسمت بلاد العرب إلى ثلاث مقاطعات وهي :
اليمن ذات التربة الخصبة ويعمل أهلها بالزراعة وتربية الماشي ثم
نجد ويسكنها قوم رحل يتغذون على تربية الماشية والغزو والنهب
ثم الحجاز أهلها أرباب تجارة مع مصر وسوريا والجهات
الأخرى وعاصمة هذه الجهة مكة وهي المدينة المقدسة عند
جميع القبائل العربية ولكل قبيلة فيها أصنام خاصة بها وفيها
الكعبة المعبد العظيم الذي يحفظ فيه الحجر الأسود الذي تقول
تقاليد العرب بشأنه إن الله سبحانه وتعالى أنزله على إبراهيم جد
العرب لأنهم يعتقدون أنهم من نسل إسماعيل ابن هاجر .

وكان العرب يزورون مكة في كل عام وحتى يأمونوا على
نفوسهم من القتل والسلب في خلال هذه الزيارة عينوا أربعة
أشهر في العام حرموا في أثنائها سفك الدماء والغزو والسرقة .

ولما وحد النبي محمد قبائل العرب وأثار أفكارهم وأبصارهم
بمعرفه الآله الواحد هدب أخلاقهم ولبن طباعهم وقلوبهم
وأصلح عاداتهم البربرية الحمجية وجعلهم أمة مستعدة للرقي
والتقدم .

كان العرب قبل ظهور النبي محمد يقدمون لأنهم الذئاب
البشرية من أسرى الحرب ومن أولادهم — فيعدون بناتهم —
ويقتلون عدوهم وعلى الجملة فقد كانت أخلاقهم مبنية على
القساوة والانتقام وسفك الدماء وقد قضى النبي محمد على ذلك
جميعه ونادي بعبادة المثالق سبحانه وتعالى وساوى جميع العرب
أمام الله وحرم الانتقام ومنع سفك الدماء وهذه الأعمال
العظيمة التي قام بها محمد تدل على أنه من المصلحين العظام
وعلى أن في نفسه قوة فوق قوة البشر .

ولد النبي محمد عام ٥٧١ من أبوين فقيرين وقد توفي والده
قبل ولادته بشهرين وتوفيت والدته في العام السادس من عمره

فكفله أولاً جده ثم عمه الذي كان يصحبه معه في سفراته التجارية .

وكان النبي محمد في حداثته يخدم أعمامه فيرعى ما شيتهم ويقود جمالهم .

ولما بلغ العام العشرين دخل في خدمة قرينته الأرمدة خديجة من ذوات الثروة الواسعة بصفة وكيل لها وبعد مرور سنة قضها في خدمتها تزوجها مع أنها كانت أكبر منه بعشرين عاماً وقيل بخمسة عشر .

كان محمد ذا فكر نير وبصيرة وقاده وأشتهر بدماثة الأخلاق ولين العريكة والتواضع وحسن المعاملة للناس وأشتهر بميله للأبحاث الدينية حتى إنه كان يناقش اليهود والنصارى ومن هذه المناقشات عرف أشياء عن موسى واليسوع وعرف بعض الشيء من تعاليم التوراة والإنجيل وعرف أنه يوجد إله عظيم لم تصنعه الأيدي البشرية⁽¹⁾ .

مضت على محمد أربعون سنة قضتها بسلام وطمأنينة وكان جميع أقاربه يحبونه محبة شديدة وأهل مدینته يحترمونه احتراماً عظيماً لما هو عليه من المبادئ القوية والأخلاق الكريمة وشرف النفس والتراة وكانت ثروة زوجته تكفيه مؤونة الكدح للمعاش فعاش رحاء وهناء ولكن من جهة أخرى كانت في نفسه عواطف دينية قوية تدفعه إلى القيام بعمل عظيم لا وهو إخراج أمنه ومواطنه من ديار الجهل وظلمات السخافات الدينية .

وصل الاعتقاد الديني بمحمد إلى الاعتراف بأن موسى وعيسى من أنبياء الله ولكنه لم ترقه بعض عقائد الديانتين المسيحية واليهودية .

ولطالما انقطع محمد في حداثته إلى الجبال المجاورة لمكة حيث

(1) (العرب) إن الذي نعرفه من كتب الإسلام والسير البوية لا يثبت هذه الرواية .

يقيم شهراً متبعداً وكان شعوره الديني يزداد عاماً فعاماً أيقن في النهاية أن أرباب أمته لا شعور لها ولا قوة وأن الإله الحقيقي واحد وهو الله منشىء الكائنات ومديرها بقوته غير المحدودة ففي سنة من سنوات اعتزاله تواترت عليه ذات يوم الأفكار الدينية وبعد ذلك اضطربت لها نفسه اضطراباً شديداً فدخل مغارة ونام فيها وفي خلال نومه رأى رؤيا دعاه في خلالها هاتف ليكوننبياً يدعو أمته لمعرفة الإله الواحد ولما استيقظ من نومه عاد إلى منزله مضطرباً وبعد عدة أسابيع رأى رؤيا أخرى دعاه فيها صوت ذلك الهاتف ليكوننبياً لأمته فزعم بعد هذه الرؤيا بدون تردد على دعوة أمته إلى معرفة الحق وصمم العزم على تطهير البلاد من الأصنام .

ومن أراد أن يحكم على الدين الإسلامي ومبادئه وروح تعاليمه فليطالع الآيات الآتية التي اقتطفناها من القرآن وهي :

﴿أن الدين آمنتوا والمدين هادوا والنصارى والصابرين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجراهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

﴿كل من عليها فان ، ويقى وجه ربك ذو الاجلال والاكرام﴾ .

﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما لا كسبت﴾ .

﴿إذا الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ .

﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أبناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المأكروه ويسارعون في الحirات﴾ .

سورة المائدة (٦٩)

سورة الرحمن (٢٦ ، ٢٧)

سورة البقرة (٢٨٦)

سورة التوبة (٦٠)

سورة آل عمران
(١١٤ ، ١١٥)

سورة التوبه (١٢٩)

وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله
علیم بالمتقين ﴿ .

سورة الأنبياء (٢٢)

﴿ فَإِنْ تُولُوا فَقْلَ حُسْنِ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

سورة البقرة (١٥١)

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آتَهُ غَيْرَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسْبَحَانَ اللَّهِ رَبِّ
الْعَرْشِ عَمَّا يَصْفُونَ ﴾ .
﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا
وَيَزَّكِيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُهُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا
تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة الانعام (١٤)

﴿ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَخْنَذُ وَلِيَا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
يَطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمُرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا
تَكُونُنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

سورة آل عمران (١٣٠)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعِفةً
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعْنَكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ .

سورة المائدة (٨٢ ، ٨٣)

﴿ لِتَجْدِنَ أَشَدُ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا بِالْيَهُودِ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا وَلِتَجْدِنَ أَقْرَبَهُمْ مُوْدَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الدِّينَ قَالُوا إِنَّا
نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ،
وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزَلَ إِلَيْ الرَّسُولِ تَرَى أُعْنَيْهِمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
مَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبِّنَا أَمْنَا فَاكِبُنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴾ .

سورة الاسراء (٢٩)

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدْ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ .

سورة الاسراء (٢٦)

﴿ وَأَتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِنُ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْدِرْ
تَبْدِيرًا ، إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْرَانَ الشَّيَاطِينَ وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِرَبِّهِ كُفُورًا ﴾ .

سورة البقرة (٢٧)

﴿ الَّذِينَ يَقْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيَاثِقِهِ وَيَقْطَعُونَ

ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم
الخاسرون » .

سورة آل عمران (١٩)
(٢٠٠)

﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الدين أوتوا
الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغاية بينهم ومن يكفر
بآيات الله فإن الله سريع الحساب ، فإن حاجوك فقل أسلمت
وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأمينين
أسلمم فإن أسلموا فقد اهتدوا وأن تولوا فإنما عليك البلاغ
والله بصير بالعباد » .

سورة النساء (١)

﴿ يا أيها الناس إنقروا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء
واتقوا الله الذي تساعلون به والأرحام إن الله كان عليكم
رقباً » .

سورة محمد (٣٦)

﴿ إنما الحياة الدنيا لعب وهو وإن ترمنا وتنقروا يؤتكم
أجوركم ولا يسألكم أموالكم » .

سورة البقرة (١٣٦)

﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم
وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأساطير وما أوى موسى
وعيسى وما أوى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم
ونحن له مسلمون » .

سورة البقرة (٢١٣)

﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومندرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما
اخالفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوا من بعد
ما جاءتهم بهن الآيات بغاية بينهم فهدى الله الدين آمنوا لما اختلفوا
فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط
مستقيم » .

سورة البقرة (٢٧٤)

﴿ الذين يفرون أموالهم بالليل والنهر سراً وعلانية فلهم
أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

سورة النور (٣٥)

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُثْلِ نُورُهُ كَمَشْكَاةٍ فِيهَا
مَصْبَاحٌ الْمَصْبَاحُ فِي زَجَاجَةِ الزَّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كُوكَبٌ دَرِيٌّ يُوقَدُ
مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتَهَا
يَضِيءُ وَلَوْلَا مَقْسِسَهُ نَارٌ نُورٌ يَهْدِي اللَّهُ نُورُهُ مِنْ يَشَاءُ
وَيُضَربُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

سورة النور (٣٠) (٣١)

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضِبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فَرُوجَهُمْ
ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مَا يَصْنَعُونَ ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضِبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فَرُوجَهُنَّ وَلَا يَدِينَ زَيْتَهُنَّ إِلَّا
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلِيَضْرِبُنَّ بِخَمُورِهِنَّ عَلَى جَيْوِهِنَّ وَلَا يَدِينَ زَيْتَهُنَّ إِلَّا
إِلَّا لَبَعْلَتَهُنَّ أَوْ آبَائَهُنَّ أَوْ آبَاءَ بَعْلَتَهُنَّ أَوْ أَبْنَائَهُنَّ أَوْ
بَعْلَتَهُنَّ أَوْ إِخْرَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْرَانَهُنَّ أَوْ بَنِي أَخْرَانَهُنَّ أَوْ
لَسَائِنَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانَهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَئِكَ الْأَرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الْطَّفَلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهِرُوا عَلَى عُورَاتِ النِّسَاءِ وَلَا
يَضْرِبُنَّ بِأَرْجَلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفِيُنَّ مِنْ زَيْتَهُنَّ وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ
جَيْعاً أَيْمَانَهُنَّ لَعْنَكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.

سورة التحرير (٦)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ خَلَاطٌ شَدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا
أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾.

سورة البقرة (٢١٥)

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يَنْفَقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلَلَّوْلِ الَّذِينَ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

سورة البقرة
(٤٤، ٤٣، ٤٢)

﴿وَلَا تُلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتُكْتَمِوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ،
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَوةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ،
أَنْأَمُرُونَ النَّاسَ بِالْمَيْرِ وَتَنْسُونَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وقد صدقـت عائلة النبي محمد برسالته وكذلك على وزيد

وانضم إليه أبو بكر الذي غدا من أكبر أنصاره وأكمل أكثر مؤرخي العرب أن أبو بكر أول من أسلم من الرجال وأن خديجة أول من أسلمت من النساء .

وقد أراد النبي محمد في بدء رسالته أن يسير على عادات قبيلته فدعى كبار عشيرته وأعلنتهم برسالته فلما سمعوا منه مقالته استنكروا منه ذلك وأخذ الغضب منهم مأخذًا عظيمًا لأنهم انتظروا أن يسمعوا منه كلاماً عن تجارة أو غزوة وقال له أبو طلب أحد أعمامه بلهجة الغضب لهذا دعوتنا فاختنق واصمت ثم تفرقوا صاحبين هازئين .

ثم أخذ النبي محمد يجاهر برسالته فعاد دين قبيلته وسفه أحلامها وسب آهتها فأساء بذلك إلى أشراف القبيلة ورأوا في رسالته خطراً على البلاد وأهلها ولكن لم يجر أحد منهم أن يقاومه خيفة من وقوع النزاع والشقاق وفي سني رسالته الأولى لم يصدق بشيوه إلا ٤٣ شخصاً أكثرهم من الفقراء والعبيد الذين سامهم موالיהם صنوف الإضطهاد والهوان فأخذ إذ ذاك أبو بكر أعظم أنصار النبي محمد يفتدى أولئك العبيد بأمواله واشتري مراراً بهم المعدين لإنقاذهم من الآلام .

وفي خلال ذلك طلب القرشيون من أبي طالب عم النبي محمد لكي يرجع ابن أخيه عن كلامه وحاله فنصح له أبو طالب ولكن النبي أجاب بقوله « لو أعطوني الشمس يوميني والقمر بشهري لكي أترك هذا الأمر قبل أن ينصره الله أو أهلك أنا في سبيله فلن أتركه » ولما قال هذا أراد الخروج فمسك به أبو طالب وقال له ؟ جاهر بأمر رسالتك وعلم ما ت يريد فلست بمسلمك لهم يا ابن أخي ولن أتركك أبداً .

وفي عام ٦١٧ توفيت خديجة وبعد وفاتها بعده أربعين توفى أبو طالب أيضاً وبذلك انقطعت علاقات النبي محمد القلبية مع

مكة فغادرها إلى المدينة ولم يمض على اقامته فيها ز من طوبل حتى آمن برسالته كثيرون ألفوا جماعة أطلق عليها جماعة المؤمنين اشتهروا بالتفوى والصلاح وحسب تعاليم الاسلام كانوا جميعهم متساوين في كل شيء ولم يكن بينهم أثر للسيادة والانقسام إلى طبقات متفاوتة في الحسب والنسب كما كان الحال عليه عند القبائل العربية وقد ضربت السكينة بين جماعة المؤمنين أطناها ورفعت المساواة قيابها فتناسوا ما كان بينهم من الخرازات والضغائن وأصبحوا يعيشون كنفس واحدة وكان الواجب يقضى عليهم أن يدافعوا عن بعضهم بعضاً ويردوا هجمات الغير المؤمنين .

وقد جرت عدة وقائع حربية بين أنصار النبي وأهالي مكة انتهت بانتصار الأنصار الذين دخلوا مكة ظافرين وقد طاف النبي وهو على ناقه حول الكعبة سبع مرات ومس الحجر المقدس بعصاه ثم أمر بتحطيم جميع الأصنام التي كانت منصوبة حول الكعبة وأعلن أن جميع الناس متساوون أمام الله عز وجل ثم أمر المكيين أن يحطموا الأصنام الموجودة في منازلهم وقد لبى الجميع هذا النداء لوثوقهم بضعف آلهتهم وأنها لا قوة لها .

وفي آخر رحلة رحلها النبي إلى مكة جمع حولها الحجاج وذكرهم جميع وصايا الاسلام ونصح لهم بأن يعيشوا مع بعضهم عيشة سلام وأمان وأن يكونوا إخواناً وأن يتناسوا الأحقاد القديمة ويكتفوا عن سفك الدماء والأخذ بالثار — وأوصاهم خيراً بزوجاتهم وعيدهم وفي الختام قال : إنني قد قمت بما عهد إلى .

وبعد عدة شهور مضت على مغادرته مكة انتقل من دار الفتاء إلى دار البقاء وكانت وفاته في اليوم الثامن من شهر يونيو سنة ٦٢٨ في العالم الثالث والستين من سني حياته وقبل وفاته

اعتق جميع عبيده .

إن محمداً نبى الإسلام الذى يدين به الآن أكثر من مائتى مليون نفس قد قام بعمل عظيم جداً فإنه هدى الوثنيين الذين قضوا حياتهم بالحروب الأهلية وسفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية إلى معرفة الإله الواحد وأنار أبصارهم بنور الإيمان وأعلن أن جميع الناس متساون أمام الله سبحانه وتعالى والحق الذى لا مرأء فيه أن النبى محمداً قام بعمل عظيم وانقلاب كبير في العالم ومن أراد أن يتحقق ما هو عليه الدين الإسلامي عليه أن يطالع القرآن الكريم بإيمان وإذا ذاك يصدر حكماً مبنيناً على الحقائق الباهرة التى يتضمنها وقد جاءت فيه آيات كريمة تدل على روح الدين الإسلامي السامية فمنها الآية الكريمة القائلة :

﴿ واعتصموا بحبلى الله جهعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكتم على شفها حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ .

أقوال الكتاب في الإسلام والسامعين

في روسيا جماعات عديدة دينية أنشئت لتبشير الأمم الإسلامية بالدين المسيحي مثل قبائل الكيرجيز والتركمان والشركس وغيرها ويبلغ عدد المسلمين في روسيا أوروبا نحو ستة عشر مليوناً ونصف هذا عدا مسلمي القوقاس وأواسط آسيا الخاضعين للحكومة الروسية وحسب آخر إحصاء عام أجري في روسيا عام ١٩٠٧ بلغ عدد المسلمين ١٠٦ في الألف من مجموع السكان وإذا راجعنا تاريخ المسلمين في روسيا نجد أنه مررت عليهم أزمان قاسوا فيها صنوف الأضطهاد الدينى وارغموا مراراً على ترك دينهم وأضطرب منهم الوف أذ ينتصروا بالاسم ونقلوا أسماءهم من سجلات المسلمين إلى سجلات المسيحيين ولكنهم تنصروا أسماءً وهم لا يعرفون شيئاً من الديانة المسيحية سوى تسميتهم بمحنا وبطرس ومرقص ومتى وفي الوقت نفسه ليثوا حافظين على عقائد الدين الإسلامي والأخلاق الإسلامية ولبشت نساؤهم محافظة على الحجاب وأذكر أنه منذ ثمانين سنوات تمكّن بعض نوافع المسلمين الروسيين وأعيانهم من استصدار أمر قيصرى بإعطاء الحرية للMuslimين المتنصرين أسماءً أن يرتدوا للدين الإسلامي فارتدى منهم في أيام قليلة نحو أربعين ألف ونيف وكانت أيام الارتداد هذه أيام أعياد واحتفالات شائقة بين المسلمين أقاموا فيها الزيارات والولائم ونحرموا فيها الحجز وأكثروا من الصدقات على الفقراء

والمحاجين وأقاموا الصلاة في جميع مساجد روسيا .

وأهم مسألة يشتغل فيها النواب المسلمين في مجلس الدوما هي توسيع الحرية لل المسلمين وتخويلهم حق الدفاع عن دينهم كلاماً وكتابة والرد على جماعة المبشرين الذين يصدرون في كل عام مئات من الكتب ويكتبون في مجلاتهم وجرائدتهم المطاعن على الدين الإسلامي وكان المسلمون من قبل لا يصح لهم أن يردوا على تلك المطاعن أو يدحضوها بالبراهين الساطعة والأدلة الدامغة بل كانوا مرغمين على سماع تلك المطاعن وهم صامتون وقد أخرجت صدورهم وتغلغل الحقد في قلوبهم ولكن بعد الجهد والعناء استطاع النواب المسلمين في مجلس الدوما بمساعدة بعض النواب المسيحيين المنصبين الذين ظهرت قلوبهم من أدران التعصب النعيم وشاربت أقداثهم بحب الإنصاف ونشر أولوية المساواة من استصدار قرار من المجلس المذكور صادق عليه جلاله القيصر نقولا الثاني يتضمن الأمور الآتية :

أولاً — منح المسلمين حق الدفاع عن دينهم والرد على أقوال المبشرين وغيرهم من الذين يطعنون على الدين الإسلامي .

ثانياً — منحهم الحق في إصدار جرائد ومجلات باللغة العربية كانوا من قبل لا يستطيعون إصدار جريدة أو مجلة إلا باللغتين الروسية والتترية .

ثالثاً — منحهم الحق في إنشاء مدارس وكتاتيب بجوار المساجد تعلم العلوم باللغتين التركية والعربية وكانتوا من قبل مجبورين على تدريس اللغة الروسية في مدارسهم .

رابعاً — تخويلهم الحق في تعين الأئمة ورجال الدين من أشخاص يعرفون اللغتين التترية والعربية وكانت الحكومة من قبل لا تسمح بتعيين المسلمين في الوظائف الدينية إلا إذا كانوا

يحيطون اللغة الروسية وأمثال هؤلاء قليلون بين رجال الدين المسلمين ولذلك كانت الحكومة تعين رجالاً جهلاء في الدين وتهمل المستحقين لعدم معرفتهم اللغة الروسية .

خامساً — تخويفهم حق إدارة مدارسهم الدينية وأوقافها وكانت من قبل هذه المدارس تديرها وزارة المعارف الروسية .
سادساً — منع المسلمين من الإتجار ببيع المشروبات الروحية .

سابعاً — منع المسلمات من إنشاء مواخير للفساد وإدارتها .
ثامناً — إعطاء المسلمين الحرية في قفل مخازنهم و محلات متاجرهم يوم الجمعة وعدم إرغامهم على فصلها يوم الأحد .
تاسعاً — تعين أئمة من الجيش للقيام بخدمة الجنود المسلمين الدينية .

عاشرًا — تقديم مأكولات للجنود المسلمين ليس فيها طعام حرام في الدين الإسلامي .

حادي عشر — منع المسلمين الحرية في إنشاء الجمعيات الخيرية والتبرع للأدب العلمية لتعمل على ترقية المسلمين مادياً وأدبياً .

وبعد صدور الأمر القيصري بالتصديق على هذا القرار انتشرت صدور المسلمين في روسيا وتسموا رائحة الحرية التي ساعدتهم على السير في طريق الرق الأدبي فأنشأوا الجرائد العديدة بلغتهم العربية فأصبح عندهم نحو مائتي جريدة ومجلة سياسية وأدبية وتاريخية ودينية بعد أن كانت جرائدتهم قليلة العدد جداً وألغى كثيرون القسم الروسي من جرائهم وأنشأوا أيضاً كثيراً من الجمعيات الخيرية والأدبية والمدارس العديدة وأصبحوا يرثرون في رياض الحرية .

على أن كثيرين من كتابهم الفضلاء ما زالوا يشكرون من

جمود المسلمين في روسيا ومسكهم بعقائد وتقالييد قديمة وأنه يلزمهم وقت طويل بمحاربة الأمم الغربية في مضمار الحياة وأقباهم على تعلم العلوم العالمية وكثيرون من أولئك الكتاب الأفضل أخذوا يمؤلفون الكتب ويكتبون المقالات في الجرائد والمجلات يختون بها أبناء دينهم على طرح نير الجمود والاستكانة ويرشدونهم إلى طريق الرق وبوجه الإجمال فإن مسلمي روسيا نهضوا في هذه الأيام نهضة شريفة تبشر بحسن الاستقبال وخير المال إن ليثوا سائرین على محور الهمة والنشاط حقق الله آمالهم .

على أن الحكومة الروسية من قديم الزمان كانت وما زالت ولن تزال عاملة على معاملة المسلمين في بلادها بالحسنى ومنحهم كثيراً من الحقوق لم تتحتها لغيرهم من الأمم المستظللة بالرأية الروسية ولا عجب في ذلك فإن المسلمين في روسيا أظهروا في حوادث كثيرة على أنهم من أشد الناس إخلاصاً لحكومتهم وطالما دافعوا عنها بنفسهم وأموالهم واشتهرت الجنود الإسلامية في الجيش الروسي بالبسالة والإقدام والدفاع عن حقوق الوطن وقد عرف فيهم ذلك قياصرة روسيا فاختاروا حرسهم الخاص منهم ومنحوم حقوقاً عديدة .

والحكومة الروسية من قديم الزمان تحافظ على شعور المسلمين الدينى وتعاملهم في الحقوق المدنية بحسب الشريعة الإسلامية وقد نشرت في العدد ٣٦٥ من جريدة المؤيد الصادر يوم الاثنين الموافق ١٠ مارس سنة ١٩٠٢ مقالة تحت عنوان «الشريعة الإسلامية في الحكم الروسية» وجدت إظهاراً للحقيقة أن أنشرها هنا وهى معرية عن جريدة نوفويه فريبا أشهر الجرائد الروسية ولسان حال وزارة الخارجية الروسية وهى بصفتها وفصها :

لا توجد مقاطعة في أنحاء العمورة تقضي فيها حقوق أهاليها بشأن الإرث حسب نصوص شريعة الديانة المتدينين بها أهل تلك المقاطعة الخاضعون لملكية متدينة بدين يختلف دينهم . ففي الجزائر والهند تستعمل محاكمها الشريعة الإسلامية في قضايا الوطنين الأصليين فقط وأما فيسائر أنحاء فرنسا وإنجلترا فإن المسلمين يرثون حسب نظام قانون نابليون والقوانين المدنية للبلاد التي يقيمون بها . غير أن روسيا شلت عن هذه الطريقة فيها وحدتها يرث المسلمون حسب نصوص الشريعة الإسلامية وقضاة محاكمها مأمورون بالسير على تلك الشريعة المرعية في محاكمها من عهد بعيد ومصرحة في البند ١٣٣٨ وما بعده من بنود المجلد العاشر من القانون المدني ومشروحة شرعاً واضحاً لا يدع أثر للريب في التفوس .

ومع ذلك فإني أقول لقد حان لحكومتنا أن توجه انتفاتها إلى الصعبوبات التي تنجم عن استعمال تلك الشريعة التي لا يبررها بند القانون القائل باستعمالها بالنظر لعدم مطابقتها للعقل .

ولقد ظهر من آخر إحصاء أن نسبة عدد المسلمين ٦١ في المائة من جميع الأهالى الروس (١) منهم ثلاثة في المائة من مسلمى أوروبا بروسية والباقيون فى أملاك روسيا فى آسيا ثم إنه فى بعض ولايات روسيا يكثُر عدد المسلمين حتى إنه يبلغ عدد نصف الأهالى كولاية أوفا وفي بعضها يقل عددهم .

ففى قضايا ميراث ومحاصمات المسلمين تسير المحاكم الروسية حسب نصوص الشريعة الحمدية وذلك مما يدعونا إلى إنعام النظر فى هذا الأمر .

إن المسلمين القاطنين فى روسيا أوروبا يخضعون ديناً لرئيسين روحين عظيمين أحدهما يقيم فى ولاية القرم والثانى فى ولاية أورنبرج وأما مسلمو القفقاس فينقسمون إلى قسمين

* هذا على حسب إحصاء أجرى عامه ١٩٠٠ ولكن هذا العدد تزايد جداً .

سنوية وشيعية يقيم رئيساها في مدينة تفليس عاصمة تلك البلاد ورؤساء الدين هؤلاء يقضون في مصالح المسلمين من زواجهم وأحكام دينهم ولذاتهم وإنما في قضايا الإرث يكونون كوسطاء للتراضي والصلح بين الورثة وإذا لم يستطيعوا ذلك فالورثة يتراوغون أمام المحاكم الروسية التي تحكم لهم حسب نصوص الشريعة الإسلامية كما قدمنا وإذا أجلنا الطرف في هذا النظام المطابق لنصوص الجلد العاشر بخصوص إرث المسلمين فلا يبقى في نفوتنا ريب أن هؤلاء يتراوغون في مسائلهم الدينية لدى أئمتهم الذين يؤمنون بمحكمة لا يقبل حكمها النقض والإبرام وأما في القضايا العامة وعلى الأخص قضايا الإرث فإنهم يتراوغون أمام المحاكم الروسية التي تقضى لهم أيضاً حسب نصوص شريعتهم المرعية الإجراء والموضوعة بين ينود قوانيننا الخاصة بال المسلمين وعليها ذيول شتى بخصوص إرث المسلمات لأزواجهن وهنا نورد نص الفقرة الأخيرة من قانوننا الذي يصرح بذلك في قوله «في قضايا إرث المسلمين وكذلك في جميع قضاياهم العامة ينبغي على القضاة الروس أن يسيروا طبقاً لنصوص الشريعة الإسلامية ولا أدرى لماذا تفضل حكومتنا المسلمين على اليهود من رعايتها مع أن تلמודهم يتضمن شرائع مختلفة ونوميس متعددة لجميع ظروف وأحوال اليهود المدنية والدينية وإذا ، فرضنا بأن ذلك التفضيل ناجم عن حصول المسلمين عندنا على حقوق وامتيازات أكثر من اليهود وأن شرائع التلמוד غير وافية أو تامة كالشريعة الحمدية فإنه كان يمكننا الوقوف عند هذا المدح في الكلام ونرضى بسير الأحكام

التي ذكرناها على محورها وجرائمها غير أن محكمتنا بعد الآن لم تتمكن من السير على قاعدة معلومة محدودة لكي تقوم بما عهد إليها من الواجب الملقي على عاتقها ذلك لأن قوانين الشريعة

الإسلامية غير مرتبة الوضع ومن جهة أخرى فإنه لا توجد في بنود نظاماتنا صراحة ترشد القضاة إلى طريقة معلومة ليسروا بها ويجهزاً وتلك النظمات الإسلامية المعروفة بالشريعة تؤلف مجموعة أوجوبة مختلفة لأسئلة متعددة بخصوص الحقوق والأحكام قد وضعها أئوف من الشرعدين المسلمين وكلهم من رجال الدين الذين وضعوها باللغة العربية طبقاً لأحكام القرآن ونصوصه وقد اجتمع من هذه القواعد وأوجوبه منذ ظهور الإسلام حتى يومنا هذا عدد لا يحصيه حاسب وقد اجتهد علماء العرب في جمع شتات قواعد تلك الشرائع فيمجموعات خاصة يقصد نشرها وتسهيل وجودها والرجوع إليها عند مساعدة الحاجة وترجم أكثر هذه الكتب إلى اللتين الفرنسية وإنكليزية وإنما لم يترجم منها إلى اللغة الروسية سوى بالكتب الآتية :

أولاً — مجموعة عقائد الشيعين وشرائعهم ترجمة الاستاذ ميرزا قاسم بك في عامي ١٨٦٢ و ١٨٦٣ .

ثانياً — كتاب شريعة السنين ترجمة غورديكوني عام ١٨٩٣ تحت اسم المداية .

ثالثاً — نظام إرث المسلمين ترجمة العالم موخين عام ١٨٩٨ . وهذه الكتب الثلاثة نافعة جداً لدرس الشريعة الإسلامية .

ثم إنه كما أشرنا آنفاً بأن بنود الجلد العاشر من النظام المدني الروسي لاتصرح للمحامين الروسية صراحة تامة بالاستناد على نظام إسلامي معروف أو مترجم للغة الروسية ولذلك كان القضاة في أكثر القضايا يقعون في أشد الارتباك ولا يجدون لهم مخرجاً من تلك الحالة الحرجة سوى الكتابة إلى أئمة المسلمين يسألونهم حل مشكل تلك القضية فيجاوبونهم عليها بذكر فقرة

الشريعة الموافقة حل تلك القضية حلاً صحيحاً عادلاً حتى يبنوا حكمهم عليها ولكن شوهد كثيراً بأن تلك الفقرات المرسلة من رجال مختلفين حل قضية واحدة تناقض الواحدة الأخرى . وعدها ذلك فإن نظام الإرث واسع جداً وهو أعقد فضول الشريعة ولذا جعل علمًا مستقلاً لا يدركه إلا بعض أئمة المسلمين الذين يسمون القسام والقضاة الروسيون يصعب عليهم درس هذا العلم الواسع أو درس الشريعة الإسلامية بجهلهم اللغة العربية الموضوعة بها .

ثم إنه لا يتسعى لإحدى المحاكم أن تصدر حكماً بإيراث لم يرضخ له المتراغعون الورثة ورفعوه إلى محكمة أعلى فربما نقضت هذه المحكمة بعض الحكم الابتدائي استناداً على فتاوى أئمة المسلمين الموجودين بالقرب منها وبذلك تختلف الحكم الأول الذى أصدرته المحكمة الابتدائية طبقاً لفتاوی أئمة المسلمين الذين أفتوا لها بذلك الفتوى وكانت فتواهم مخالفة لفتوى الآخرين وكثيراً ما تتصل تلك القضايا إلى مجلس الشيوخ الذى لا يجد أيضاً إلى حلها سبيلاً سوى الاستناد على فتاوى الأئمة وبالاختصار فإن قضايا إرث المسلمين وغيرها تسبب لمحاكمنا ارتباكاً عظيماً هي في غنى عنه وينجم أكثره من عدم معرفة قضاتنا الشريعة الإسلامية وأن لهم ذلك ؟

ثم استطرد الكاتب كلامه فقال : ولقد طالعت مقالة في مجلة وزارة الأديان بهذا الشأن ذيلها كاتبها بعدة آراء إذا سارت عليها حكومتنا تخلصت من تلك الحالة الحرجة وإتمام الفائدة أذكر تلك الآراء :

أولاً - ينبغي أن يضاف إلى نموذج مدارس القضاة الحقيقة درس الشريعة الإسلامية حسب الطريقتين السننية والشيعية وعلم الإرث .

ثانياً — ينبغي على وزارة الأديان أن تنتخب عدة علماء أفضليهم معرفة تامة وخبرة زائدة بالشريعة الإسلامية وتعهد إليهم ترجمة تلك الشريعة إلى اللغة الروسية ليسير بموجها القضاة .

ثالثاً — ينبغي أن تضاف إلى بنود النظام المدنى بنود جديدة يبين فيها كيفية استعمال الشريعة الإسلامية والطريقة التي ينبغي على القضاة أن يسيروا عليها في تطبيق فتاوى الأئمة على نصوص الشريعة وإيجاد الفقرات الموافقة من الشريعة للفصل في منازعات المتخاطفين بكيفية عادلة غير مجحفة بحقوق أحد .

رابعاً — ينبغي على محكمنا أن تسير أيضاً على نظام محكمة تركستان الأهلية .

خامساً — ينبغي على حكومتنا أن تنتخب من المسلمين أئمة ذوى أهلية وكفاءة تعينهم معاونين للقضاة الروس في حل مسائل الإرث والحكم في بعض القضايا وتسن لهم نظاماً يسيرون عليه وتربّى لهم رواتب شهرية .

ثم ختم الكاتب مقالته بقوله : ولنا وطيد الأمل بأن حكومتنا تعير انتفاتها إلى هذه المسألة الخطيرة التي لا يحسن السكوت عليها .

وفعلاً لبت الحكومة الروسية نداء هذا الكاتب الحر المعذل ونداء غيره من الكتاب الروسين المنصفين وعهدت إلى لجنة من الكتاب المسلمين الروس والمستشارين تعریب الشريعة الإسلامية ليسير بموجب نصوصها القضاة الروسین في القضايا الخاصة بال المسلمين .

وما يحسن نشره ويطيب ذكره أن للمسلمين الروسين عنابة خاصة لا توجد لدى غيرهم وهي حفظ القرآن الكريم لاسيما تحفيظه للفتيات وإنماً للفائدۃ أنشر مقالة بهذا الصدد

كنت نشرتها في العدد ٣٧٢٥ من جريدة المؤيد الغراء الصادر في ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٢ عربتها عن جريدة ترجمان الروسية الإسلاميةوها هي :

جرى في التاسع من شهر يوليو الماضي امتحان مدرسة البنات التي تحت إدارة حضرة الفاضلة بمنية خاتم بولاتوفوف وقد حضر الامتحان ما يزيد عن مائة سيدة من والدات الطالبات وقربائهن فكان عدد المتهيات اللواتي نلن الشهادة الابتدائية باللغة العربية والروسية والدين والحساب وغير ذلك من العلوم عشر قفيات وقد أجادت تلميذات المدرسة الأجرؤة وشنفن أسماع الحاضرات بتلاوة بعض سور القرآن الشريف .

وفي الحادى عشر من الشهر المذكور جرى في مسجد المدينة امتحان إحدى طالبات هذه المدرسة البالغة من العمر تسعة سنوات في حفظ القرآن واستظهاره أمام جمهور غفير من الوجهاء والأعيان وقد فازت تلك الفتاة في الامتحان فوزاً مبيناً وتلت القرآن جميعه في ساعات متواترة فلقيت بالحافظة وحسب العادة الجارية عندهم ألبسها الإمام عمامة خضراء صغيرة وعلى إثر الامتحان أولم والد الفتاة السيد حسن التحاس وليقة فاخرة لجميع الحاضرين .

ثم قالت الجريدة عن حفظ القرآن ما مفاده : إن استظهار القرآن وحفظه عادة قديمة عند المسلمين ولا تخلو الآن عندنا مدينة أو قرية من حافظين وحافظات للقرآن الكريم وهذه العادة كانت لها أهمية عظمى في صدر الإسلام لحفظ القرآن سالماً من التغيير والتحريف لعدم انتشار المطابع في ذلك الوقت ونسخه الخطية كانت قليلة جداً ولذا كان يحفظه الحافظون جيلاً عن جيل فلما شاعت المطابع طبع منه ملايين من النسخ .

ومن ذلك أيضاً أن حضرة الفاضلة السيدة صفية عليه خاتم

عقيلة سليم أفندي جائزتين تحصلت من وزارة المعارف على رخصة لإنشاء مكتب وبعد أن فازت بضالتها المشودة شادت من جيبيها الخاص داراً فسيحة للمدرسة لتعليم الأولاد فيها اللغتين العربية والروسية وصناعة الأحذية والمخدادة وقد استحقت هذه الفاضلة الشكر .

وقد أخذت بعد ذلك النهضة بين المسلمين روسيا تسير سيراً مطروداً وظهر بينهم من نواب الكتاب والمؤلفين الذين تلقوا العلوم في مدارس روسيا وأوروبا العالية وأخذوا قسطاً وافراً من مدينة الغرب مثل صدر الدين أفندي مقصودوف أحد النواب المسلمين في مجلس الدوما كان لها دوى هائل في جميع أنحاء روسيا أتى فيها باللائمة على بعض الموظفين الروسيين الذين يغضبون في بعض الجهات المسلمين ويصادرون مدارسهم ولكنى لدى إمعان النظر في خطبته أفيته يبالغ في سرد الحوادث وكأنى به كان يبلغ تلك المبالغة ليجعل خطبته تأثيراً في النفوس ويجريك الحكومة على الاقتراض من الموظفين الذين يخالفون القوانين ويعتدون على الرعية بدون حق والذي أعلمك بنفسي وسعته من أفواه الكثرين من كبار المسلمين روسيا وسراة القوم أن المسلمين في روسيا يرفلون بحمل الصفاء ويرتعون في رياض الجناء .

ومن نواب الكتاب المسلمين في روسيا الكاتب الشهير أحمد بك أجاييف المقيم الآن في الأستانة العلية يحرر بجرائمها وقد رأيت لحضرته في بعض مؤلفاته مقدمة دافع بها عن الدين الإسلامي وذكر الأسباب التي حملت الأوروبيين على الطعن على ذلك الدين لسبب جهلهم معتقداته وقد رأيت أن أنقلها عنه بالحرف الواحد :

قال الكاتب يذكر التراثات والاختلاقات التي كان ينسجها الأوروبيون للدين الإسلامي كما يأتى : إن سواد الأوروبيين الأعظم الذى يسلم بذاته بالأمور دون بحث بأسبابها ونتائجها وذلك بالنظر لاستيلاء العقائد الفاسدة على عقولهم ورسوخها في أذهانهم سواء كان في أوروبا أو روسيا فإنهم يعتقدون اعتقاداً متيماً بأن الذنب على الإسلام في جميع ما يجرى في البلاد الإسلامية ولو لا وجوده لكان الحال هناك على غير ما هي عليه الآن المعتقدون بهذا الاعتقاد يرون أن المسلمين ماداموا مسلمين لا يستطيعون الإقبال على المدنية الأدبية العمومية ثم إنهم أي الغربيين يزعمون أن الشر جمیعه متمثل في الإسلام ويتصورون أن أعظم وسيلة تقدّهم منه هي ملاشاة نفس الدين ومحقّه من وجه الأرض وهذه الأفكار رسخت في العقول منذ أجيال عديدة سالفة من جراء الخصم والشقاق والتراّع العنيف بين الغرب والشرق وذلك في خلال قرون مديدة بسبب اختلاف الإسلام والمسيحية الأمر الذي يظهر الرجل الساذج الذي لم يعتد التبصر والتفكير والتروي بأن هاتين الديانتين على طرق تقىض في الجواهر والمعتقدات ولا يمكن التوفيق بينهما وأخيراً فإن هذا الاعتقاد ساد مدة طويلة بين أهل الغرب يدلّنا على ذلك دلالة واضحة الآداب البيزنطية واللاتينية المضادة للإسلام ومن أراد زيادة إيضاح عليه أن يقف على مؤلفات وخلفات العصور الوسطى لاسيما الفترة التي حدثت فيها الحروب الصليبية .

والإنسان يتأثر تأثيراً شديداً تهتز له أعصابه لدى مطالعته تلك التراثات والمثالب والمطاعن التي كان يتناولها مغنو وشعراء الرومان الساذجون وينادي بها النساء ورجال الدين في المعابد والمجتمعات العامة والباري يصفون فيها شخص وتعليم

* انظر تاريخ الأكاديمية الفرنسية
والأداب البرمنطية ضد الإسلام
تأليف جمعية المبشرين في فاران .

سائق الجمال الذي أطلقوا عليه اسم « النبي العربي الكاذب »^(١) ومن الأمور المضحكة المبكية نظر أهل الأجيال الوسطى إلى الإسلام واعتقادهم به فكان الشعب يصدق بداعه كل افتراء على الإسلام وأتباعه وقد بالغوا في استبطاط المفتريات والسفاسف لدرجة لا يجوز تصديقها لما فيها من الغرابة المنكرة وقد أدى بهم الجهل إلى تصوير محمد ب الهيئة الشيطان ذي قرنين وأطلقوا عليه (ضد المسيح) الراسخ في أذهان القوم بأنه يفسد الناس ويخرجهم عن دينهم ولذلك لابد أن يزج في سير النار حيث لا يقر له فيها قرار . ثم إن تيورين الكاذب المفترى ألف رواية وصور فيها مهماً ب الهيئة الصنم ماهوم الذي كانوا يعبدونه في قادس ولم يحسن كارلوس الأعظم على تحطيمه وتكسيره خوفاً من الأبالسة الختافية في جوفه .

وما مر يتضح للقاريء أن العقول النيرة كانت منغمسة بمثل هذه الاعتقادات الفاسدة والمفتريات الباطلة بعيدة عن الحقيقة بعد السماء عن الماء وقد أجمعوا عليها كلهم حتى إنه لو قام بهم في مثل ذلك الوقت رجل كشف الله له عن نور الحقيقة وجلهم بها لكتن ترى الناس يصيرون عليه صوابع سخطهم ونقمتهم فقد كادوا يحرقون دانتي في النار لأنه عد مهماً في (روايته الإلهية) بين الرجال العقلاه المصلحين ذوى المدارك السامية فاضطر لكي ينجو من سخط الشعب الذي تهدده بالقتل أن يضعه في عدد الرجال الأشرار الذين عاثوا في البلاد فساداً وبثوا بنور الشقاوة والنفاق والخضام بين معاصريهم مثل « فراد التشيبيو » و « برتران بورن » وغيرهما اللذين هم في عرف الشعب من سكان جهنم . ثم إن المصور الإيطالي الشهير أركانيوس وضع عدة رسوم للأشخاص الذين يحتقرن جميع الديانات على الإطلاق واتخذوها مجرد المزء والسخرية فصورهم

وأقفيت في جهنم ولهيب النار يكتففهم من جميع الجهات وفي مقدمتهم محمد وأغيره دوئس (الوليد بن رشد) والمسيح الدجال أو ضد المسيح.

وبوجه الإجمال فإن الأجيال الوسطى كما قال أرنست رنان قد اشتهر أهلها بالخدة وعدم التروى ولم يكن عندهم درجة متوسطة لأمر من الأمور فكان محمد في عرفهم خداعاً ما كرماً متخدلاً مهنة سرقة الجمال وقالوا عنه بأنه كاردينال سعي للحصول على وظيفة البابوية فلم يفز بها فوضع ديانة جديدة لكي يتocom من زملائه الكرادلة وما ضارع ذلك من الأوصاف المجردة عن الإنفاق ولا تنطبق على العقل السليم^(١) تمر الأجيال وتتقضى السنون ولا تزال سفاسف الناس وترهاتهم وأفكارهم السخيفه الواهية تضغط على العقول النيرة كما كانت في العصور المظلمة . إن بيلياندر وهو تينيجر وماراجي وغيرهم أخذوا يدرسون القرآن درساً مدققاً على قصد تقويض أركانه وأما لبيتس وشكسبير فإنهم تكلماً كثيراً عن نبي المسلمين بقصد إضحاك الجمهوه وتسلية هم وأما فولتير فإنه التمس الغفران من البابا بواسطة تقديرية له رسالة الطعن المشهورة التي عنوانها « محمد » وقد نسب بها إلى النبي محمد أموراً منكرة لم تخطر بباله ومنافيه على حظ مستقيم لروح تعليمه ومبادئه .

ثم إن الجيل التاسع عشر المسمى بحق جيل العلم والانتقاد الصحيح لم يخل من مثل هذه المختلقات والمفاسد التي جاهر بها بعض قادة الأفكار وأصحاب العقول الممتازة فقد وضع العالم الإنكليزي الشهير كارلوس فورستير عام ١٨٢٩ مجلدين ضمنيين وقعوا موقع الاستحسان والاحترام في نفوس رجال الدين لأنه برهن فيما بالأدلة الكثيرة على أن محمداً هو قرن الكبش الصغير الوارد ذكره في الإصلاح الثامن من نبوة دانيال

* كشف النقاب عن الدين الإسلامي وهو بحث في انتشار الدين وبقائه على طريقة تؤدي إلى زيادة الاعتقاد في الدين المسيحي.

وأن قرن الكبس الكبير هو البابا^(١)) ولكن ينصف الثاني من الجيل التاسع عشر الذي أشرقت فيه أشعة العلم وأماط النقاب عن الشرق وتاريخه وحياته وذلك أنه عندما ازدادت المواصلات بين الشرق والغرب بواسطة انتشار السكك الحديدية وازداد توافد الغربيين إلى الشرق حيث دفعتهم المصالح التجارية والصناعية إلى الضرب في طول البلاد وعرضها فقد العلم وحب الاستقرار علماءهم وأصحاب الأفكار الفياضة منهم إلى درس أخلاق وعادات أهل الشرق المتدينين بغرض دينهم ودرس أحوال البلاد في نفس البلاد ولم يقفوا عند هذا الحد بل تجاوزوه إلى مطابقة الحاضر بالغابر مطابقة مبنية على العلم والتحقيق والكتابات الماضية وأيدوا في خلال ملاحظاتهم على الأدوار العديدة التي تقلبت فيها الأديان منذ ظهورها وما تحملته من الانقلاب والتغيير ولم يميلوا في عملهم هذا ودرسهم مع الأهواء بل دونوا الحقيقة بمجردة عن كل غرض فاسد وميبل منحرف وهذا ينافي حالة العلماء في الأجيال الماضية الذين غش التعصب الديني أبصارهم وأسدل حجاباً كثيفاً على أفكارهم فأعماهم عن المجاهرة بالحقيقة وقادهم إلى الابتعاد عن جادة الحق وإنصاف وقد تبعهم في ذلك سواد الناس الأعظم الذين لزعمهم بأنهم حاملو الحق فإنهم لا يستطيعون احتمال معتقدات غيرهم من الناس والوقوف حيالهم موقف السكينة والرضى بل يسفهونها ويذهبون في انتقادها كل مذهب .

أما في أيامنا الحاضرة التي أصبحت فيها الأديان مادة للمحاولات العقلية فقط لأنها فقدت مادة التعلق بها ذلك التعلق الديني الشديد ولا يهم بها الناس الآن إلا لأنها من مظاهرات نفس الإنسان ولم يعد الناس يتحاورون بشأنها ولا يوجه كل صاحب دين إلى الأديان الأخرى أنواع السباب والطاعن

والتهكم وأصبح عمل المستشرق الذى يهتم بأمور الأديان والوقوف على تاريخ الشرق يخرج من تحت ذراعه كمحليل الكيمارى الذى يخرج من معمله وتراء أى المستشرق يهتم بجميع العوارض والمظاهر اهتماماً واحداً دون أن يفضل أمراً منها على الآخر وإنما يشرح صدره وتطيب نفسه لدى اطلاعه ووقوفه على مبتكرات فكر الإنسان فى كل آن وزمان وإظهار قواد الفياضة ولذلك فلا عجب إذا شاهدنا فى هذا العصر الانقلاب العظيم الشأن الذى أحدثه درس آخرال الشرق فإنه غير نظر العلماء السابق بشأن الأديان المختلفة وشئون الشرق على العموم لاسيما بشأن النبي محمد وتعاليه فأصبح محمد في عرفهم ونظرهم ليس صورة للصنم ماهوم ولا هو ضد المسيح المقيد في جهنم ولا قرن الكبش الصغير الوارد ذكره في نبوة دانيال بل هو ذلك المصلح العظيم الذى هز العالم بتعاليه ومبادئه وأفكاره السامية وأنه وضع أساس تعليمه ليس لأنه كان كاردينالا ولم يفز بوظيفة البابوية بل لأن قواده كان يلتهمون غيره على الحق الذى شوهت وجهه الشكوك أو الاختلافات التى دخلت عليه ذلك الحق الذى نادى به في العالم ذلك «النبي العظيم» قبل ظهوره بستة قرون ولم يدرك جواهره تلاميذه الشيطون - الغيورون بل ذهبوا في تأويله كل مذهب عندما علموا الناس به لاسيما في البلاد العربية وقد ورد في القرآن آيات كثيرة تدل على ذلك بأجلى بيان وتأملوا فقط ذلك الشكر ان الجميل الذى جاهر به نبي المسلمين بشأن الصابرين الذين ظنوا لأول وهلة أنه ينادى بتعلم المسيح .

ثم إن آيات القرآن النازلة بشأن آلام عيسى وولادته وذكر مريم والدة روح الله فإنك ترى التأثير ظاهراً من كل كلمة منها مقروناً بذلك بمزيد التعظيم والاحترام فوق هذا وذلك فإن

المسلمين يعظمون مريم أكثر من بعض الطوائف النصرانية فهى في عرف المسلمين عناء طاهرة صالحه قد اصطفها وشرفها رب العالمين والنبي يظهر لها احتراماً دينياً يفوق الوصف حتى إنه عندما أراد أن يمتدح ابنته فاطمة قال « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران » ثم إن النبي أدرك تعلم عيسى كما هو وجاءت الديانة المحمدية مطابقة لها ونفت جميع المعتقدات الباطلة التي دخلت عليها وشوهرت جوهرها وورد في أمكناة كثيرة من القرآن ما مؤده وإن جئت لإثبات تعلم عيسى الحقيقي ^(١) .

* راجع ترجمة القرآن
لسايلوجوف.

قال المستشرق الإنجليزى الشهير ماكس مولر : سوف يعلم المسيحيون يدهش عظيم أن محمداً أحد معضدى يسوع وأن الديانة المحمدية ما هي إلا شيعة من شيع الديانة النصرانية وإذا ذاك يندesh المسلمين والمسيحيون معاً بسبب ما جاء في تاريخهما من الخصم والشقاق والعداء بسبب الدين ^(٢) . وقد وافق كثير من علماء أوروبا المستشرقين على رأى هذا العالم وغضدهم في ذلك أيضاً كثير من الروسيين العقلاه ذوى الأفكار السامية مثل فلاديمير سولوفيف وبيترون.

* راجع كتاب محمد والمحمدية
لماكس مولر.

والعالمة المشهورة مدام ليبيديف الشى تقيم معظم السنة في القاهرة ويعرفها كثيرون من أفالضل ونبلاه وعلماء المصريين فإنها وضعت عدة كتب بلغات مختلفة دافعت بها عن الدين الإسلامي دفاعاً شديداً وأظهرت فضله وتحضرتها مؤلفات كثيرة بشأن المرأة حرية بالمطالعة والاعتبار.

ولكن مع الأسف نقول أن سواد الناس الأعظم لم يزل على غيه تائها في فيافي الضلال ولا يجنيح إلى الحقيقة الثابتة التي أيدتها علماؤه وقادة الأفكار منهم بل ما زال رازحا تحت نير اعتقادات وخرافات القرون الوسطى بشأن محمد وتعلمه ناسياً

ضعف الأمم الإسلامية في عصرنا الحاضر والاختلاط بهم السياسي والأديني والاختلاف العام فيما بينهم إلى الإسلام وجاهلاً بأن كل إنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يلعب على الدوام دور النجاح والتقدم وأن الديانة ما هي إلا شيء مستقل مجرد عن كل قوة لاستطيع تحسين حالة الحياة ثم إنه وأخيراً لابد من حصول الشقاق المتبادل الدائم بين المسلمين بالديانات المختلفة ولو كان ذلك بطريقة غير محسوسة لكنه دائم الحركة المشتركة بين المخالفين في المعتقدات . وكل ديانة كما لا يخفى تكون في أول ظهورها حرك قوي تدب روح الحركة في قلوب الذين يتبعونها وذلك على قدر ما يكون لها من التأثير الروحي والمادي في نفوسهم ولكنها أى الديانة تتقلب مع مرور الزمان في أدوار مختلفة بحسب حالة تابعها من العلو والاختلاط فتعزز وتعلو بعلو شأنهم وتتحطم بالاختلاط بهم ويدخل عليها في المحلة الأخيرة الفساد وتشوه الاختلافات التي تدخل عليها وجه حقيقتها وتزعزع أساس جوهرها وهذا هو السبب الوحيد والبرهان الفرد على ظهور البدع والشيع المتعددة في هيكل الديانة الواحدة وكذلك دخول الفساد على تعاليمها وتفاسيرها ولو قابلنا حالة الديانة المسيحية بحالها في القرون الوسطى وفي أيام الإصلاح وأيامنا الحاضرة لظهرت لنا بأجل بیان تلك الأدوار المختلفة التي كابتتها وما دخل عليها من التغيير والفساد والتفاسير المتناقضة المتباعدة مع أنها ديانة مبنية على أساس متين واضح ومثل ذلك جرى للديانة الإسلامية بقطع النظر عما دخل عليها من البدع والتفاسير التي لاتطابق حقيقة جوهرها ولنست منها في شيء

